ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

العدد (6048) السنة الثالثة والعشرون - الاثنين (15) كانون الأول 2025

www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

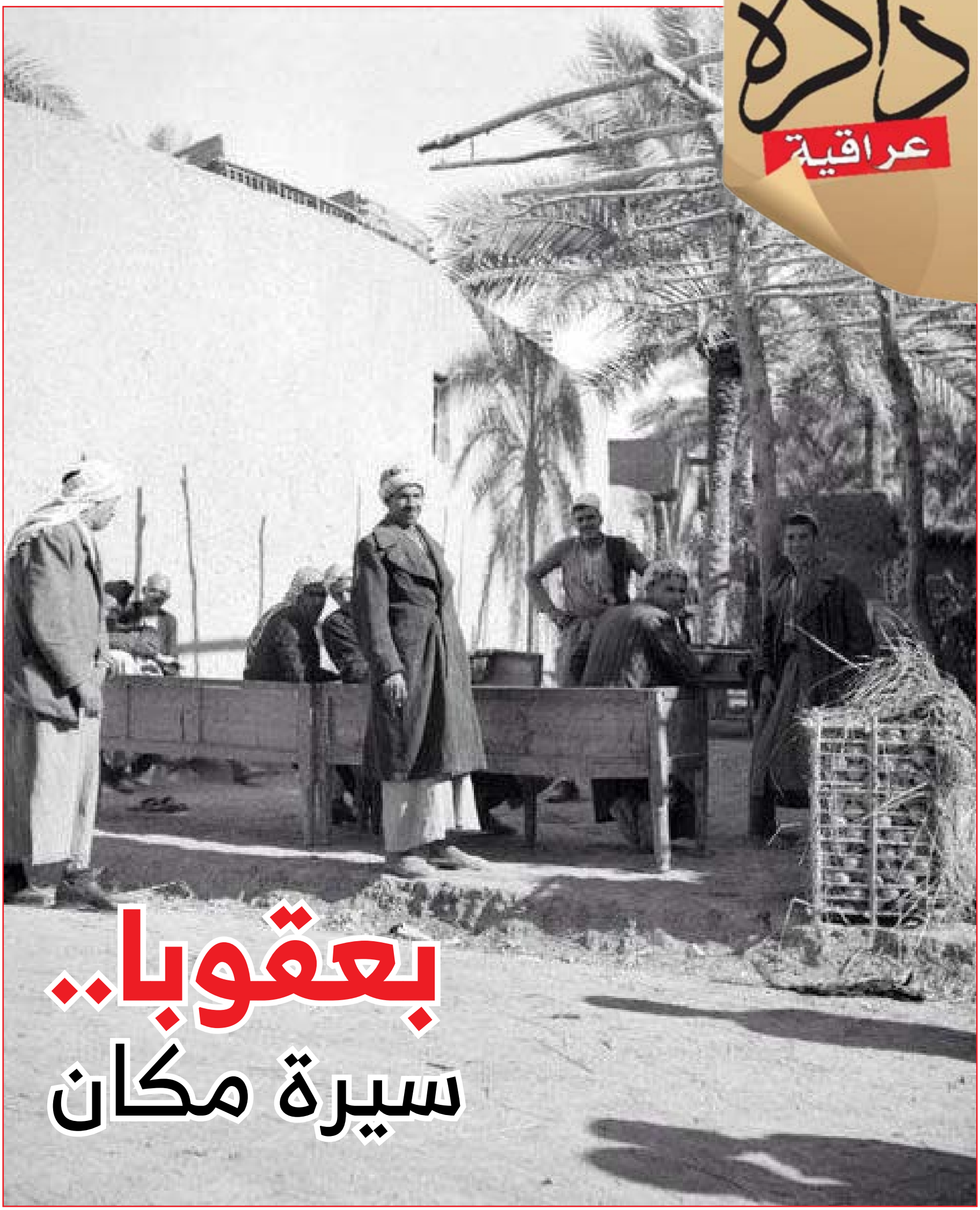

بعقوبا.. سيرة مكان

في ذكراه العاشرة

عبد الحميد الرشودي

رفعة عبد الرزاق محمد

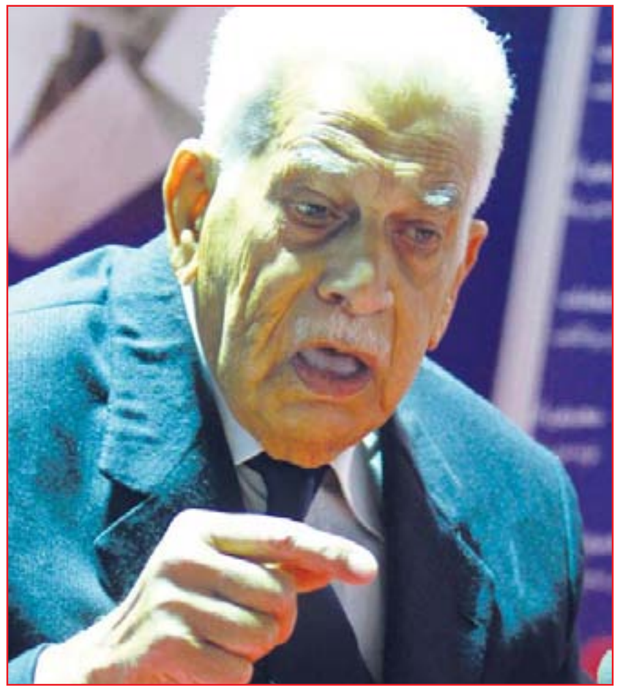

ينتمي الاستاذ عبد الحميد الرشودي الى جيل من الادباء الباحثين العراقيين ، ظهرت اعمالهم في الخمسينات وما تلاها ، هم جسر بين جيل اعلام اليقظة الفكرية الذين برزوا في النصف الاول من القرن العشرين ، والاجيال التالية . ويحاول هذا الجيل ان يشابه نفسه بما اتسم به جيل الرواد من موسوعية الثقافة ،ولعل الرشودي يمثل هذا المنحى تمثيلا صادقا . ولا غرو فان النصف الثاني من القرن المنصرم شهد انحسارتلك الموسوعية التي كانت سمة القمم الشامخة من اعلامنا الرواد .

ويمكن ان يكون السبب في هذا الانحسار الى تقهقر الحياة السياسية العامة وغياب مقومات ظهور الابداع ونضوجه ، والامر ينطبق على كل المشهد الثقافي باشكاله وفنونه ، فهل تخيل ظهور الزهاوي والرصافي والشبيبي والجواهري والوردي وسواهم من الاعلام في العهود التالية للخمسينات ؟!

ولا اعرف سببا في تذكري ماقاله احدهم في الكاتب البريطاني جورج اورويل :هو واحد من هؤلاء الناس الذين اذا شعرت بانهم يحسنون الظن بك احسنت الظن بنفسك ، كلما ارى او اتذكر الاستاذ عبد الحميد الرشودي . فقد عرفته بانه رجل حيي بالطف معاني هذه الكلمة ، فهو مسالم الى ابعد درجات المسالمة ، وهوقادر في الوقت نفسه على رؤية جوانب الضعف الكثيرة لدى الناس ، ولكنه قدرته على الصفح اكبر ..كما انه لايميل الى اصحاب السلطة في كل مراحل حياته ويشيح بوجهه عنهم اذا استطاع ، والشواهد على ذلك بينة واظهرها الفترة التي تولى بها اثنان من ابناء خاله رئاسة الجمهورية .

ولا يستطيع الرشودي ان يسكت عن اوهام المؤلفين وعثرات المحققين ، لكنه يكتب النقد استدراكا وتصحيحا وتنبيها باسلوب بعيد عن الهجوم المباشر. ولم اره شديدا الا في نقده لكتاب امين المميز الاخير (بغداد كما عرفتها) ، والحق ان كتاب المميز في الفصول عن بغداد القديمة مليء بالاوهام والاختلاقات غير المبررة . ولا اعرف من اين جاءته هذه الوداعة ، فالشخصيات التي تاثر بها وصحبها معروفة بقسوتها على مخالفيها ، اما والده فلا اعرف شيئا عن سجاياه الخاصة ومقدار تاثر الاستاذ عبد الحميد بها .

والرشودي رجل معتدل بكل معاني الكلمة في احكامه الشخصية او العامة ، ولم يخضع عواطفه في كل ما كتب من نقود الا للمنطق والحقيقة التاريخية واللغوية . وهو في كل ذلك يقظ في عدم المبالغة في تقدير نفسه . ربما قال البعض ان اعتداله بسبب ملكته الادبية ، والادب يروض النفس ، او بسبب دراسته للحقوق ، غير ان ما الفناه في مجتمعنا المتناقض في كل شيء ، يرجح ان اعتداله صفة ولدت معه او انها من نتائج تربيته الاولى . ويضاف ان اعتداله بينا في الناحية الايمانية من حياته، فالرجل مؤمن بصدق بقيم السماء وتعاليمها ، ولكنه في الوقت نفسه – وهذا منتهى الاعتدال كما ارى – شديد الوطاة في حديثه على انتشار الخرافات والجهل والشعوذة باسم الدين . وكثيرا ماسخر من المتظاهرين بالورع والزهد والتقوى وهم اشد الناس جشعا وظلما وجهلا ! . لم يمنعه ايمانه العميق من الاهتمام بالموسيقى الشرقية ومعرفته اصول المقام العراقي ، ويمتلك ذاكرة وقادة بتاريخ الفن العربي واعلامه . ومن الطريف ما ذكره لي انه زار القاهرة وكان همه لقاء الاسماء اللامعة من الممثلين المصريين .

هذه مقدمة اجدها مهمة لمعرفة الرشودي ، غير ان المهم من هذا معرفة الاشخاص الذين تاثر بهم وتركوا في مسيرته الاثر الاكبر والاوضح ، وهذا ما احاول استجلائه في السطور التالية.

واول هؤلاء الرجال واكثرهم تاثيرا ، عبد الله الرشودي والد صاحبنا ، وعلى الرغم من عمله البعيد عن الكتاب واهله ، اذ كان يتعاطى بيع الحبوب في اسواق الكرخ (علاوي الشيخ صندل) ، فقد كان احد طلبة العلم مما كان يسمى بعلوم الجادة ، ولاحق علماء بغداد الكبار في السنين الاولى من القرن المنصرم ينهل منهم امثال الشيخ عبد الله السلام والشيخ عباس حلمي القصاب في جامع الشيخ صندل ، كما حضر جانبا من درس الشيخ عبد الجليل الجميل في جامع الاصفية. وكان يمتلك مكتبة عامرة بامهات الكتب العربية الشهيرة ، كان اهل بيته يسمونها الكتبخانة . وذهب مرة الى القاهرة وحضر بعض الدروس في الجامع الازهر كمستمع . فتح عبد الحميد الرشودي عينيه على هذه المكتبة ، وكثيرا ما كان يكتشف يوما بعد يوم ان مايتلقاه في المدرسة وقبلها الكتاتيب اقل من القليل هما كانت تلك المكتبة تحتجثه .

ويبدو ان اباه عرف شغف ابنه بالمعرفة ، فكان يستدرك على مايتلقاه ابنه من علوم العربية . سأل ابنه ذات يوم عن موضوعات النحو التي يدرسها في المدرسة ، فاجابه : لقد وصلنا الى موضوع الاسماء المبنية فقال له فوره :

احفظ هذه الابيات من الفية ابن مالك ، ويذكر عبد الحميد الرشودي انه حفظها تلقينا لا فهما ، وهي :

والاسم منه معرب ومبني
لشبه من الحروف مدني
كالشبه الوضعي في اسمي جئتنا
والمعنوي في متى وفي هنا

ويضيف الرشودي: وعلى الرغم من مضي اكثر من ستين حولا على ذلك فما تزال منقوشة في ذاكرتي الى يومنا هذا . وان هذه المحفوظات وان لم اجد فيها نفعا في حينها الا انها وبعد ان تقدمت بي السن وارتقيت في سلم الدراسة اخذت تنكشف لي معانيها وتنجلي غوامضها وكانت خير عون لي فيما استقبلت من دروس الحقوق والادب .

ينتمي عبد الله الرشودي الى اسرة نجدية نزحت من بريدة في الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر ، اذ جاء ابو عبد الله وبدعى محمد الى بغداد وسكن في الجانب الغربي منها (الكرخ) ، اسوة بالاسر النجدية التي استقرت ببغداد ، والرشودي لقب نسب الى نوع من انواع النخيل في بلاد نجد . وظد محمد علاقته باهل منطقته التي تضم اقدم المحلات الكرخية القديمة ، الست نفيسة والشيخ صندل وجامع عطا ، وتزوج كريمة اسرة)جُمبلية(وانجب منها عبد الله ، وولد اخر ذهب قبل الحرب العالمية الاولى الى الهند وتوفي هناك . ولما بلغ عبد الله السادسة من عمره ، توفي ابوه بعد ان بنى بيتا للاسرة في الكرخ .

وعندما بلغ عبد الله ما يمكنه من العمل التجاري الذي بدأ به ابوه في بغداد ، انخرط في العمل ولم ينس العلم ، فقد كان يحضر حلقات الدرس ومجالس الادب . غير انه اشتهر بائعا للحبوب وعرف بالاستقامة في عمله ودماثة اخلاقه .

وقبل ان اتحدث عن الشخصيات المؤثرة الاخرى في الاستاذ الرشودي ، ابين للقارىء الكريم ان الاستاذ عبد الحميد الرشودي ، ولد في محلة الست نفيسة سنة ١٩٢٩ ، ودرس في كُتّاب (الملا عبد العبدلي) في جامع الشيخ صندل الذي لايبعد كثيرا عن بيته . ولما بلغ الثامنة من العمر دخل المدرسة الفيصلية الابتدائية في الكرخ ثم ثانوية الكرخ فثانوية التفيض (١٩٤٨) . ودخل كلية الحقوق وتخرج فيها عام ١٩٥٣ . كما دخل دورة تربوية في السنة التالية اهلته لدخول سلك التعليم الذي احبه كثيرا ، كما انه دخل كلية الاداب في الجامعة المستنصرية وتخرج فيها في منتصف الستينات . وعمل موظفا في ادارة العاصمة الى عام ١٩٦٠ ثم ولج السلك التربوي الى تقاعده عن العمل عام ١٩٨٢ . ومارس مهنة المحاماة لبعض السنين .

وكان المؤرخ العراقي الكبير عباس العزاوي ، الشخصية الثانية التي تاثر بها عبد الحميد الرشودي في مسيرته الادبية والعلمية . تعرف عليه في المكتبة العصرية في شارع المتنبي لصاحبها محمود حلمي ، وسرعان ما توطدت العلاقة بينهما ، ومما سمعته من الرشودي ان المرحوم الاديب خضر الطائي كان صديقا لعلي غالب العزاوي المحامي شقيق الاستاذ عباس العزاوي . وكان يقوده بعد ان كف بصره ، وعندما قتل اغتيالا عام ١٩٤٤ ، انتقل خضر الطائي الى العمل مساعدا لعباس العزاوي . وفي عام ١٩٦٠ ضجر الطائي من هذا العمل ، فطلب من صديقه الرشودي ان يحل محله ، فوافق . كان يذهب بعد انتهاء دوامه الرسمي الى مكتب العزاوي ، وكان في خان الباججي في سوق الخفافين ،ويذكر الرشودي انه كان يطلع على مايأتي الى العزاوي من كتب ومجلات كثيرة فينبه العزاوي على مايهمه . غير ان العزاوي طلب من الرشودي ان يصحح كتبه قبل دفعها الى المطبعة ، بل خوله بتنقيح أي شيء يراه ، وكان العزاوي يردد امامه: ان عندي معلومات كثيرة ولا وقت لدي للتنقيح.

وقد نوه العزاوي في نهاية بعض كتبه الى مساعدة الرشودي له . ومن كتب العزاوي التي صححها الرشودي الجزء الثاني من تاريخ الادب العربي في العراق وكتاب الكندي وكتاب النخل . وقد حدثني الرشودي كثيرا عن العزاوي واحواله مما لايعرفه احد .

وكان الاستاذ مصطفى علي ،الاديب والقاضي والوزير ، اكثر الشخصيات تاثيرا في مسيرة الاستاذ الرشودي وابعدها غورا ، فالاثنان متفقان على حب الشاعر الرصافي ، ومصطفى علي كان راوية الرصافي والمؤتمن على اثاره ، وقد انتقل هذا الامر الى الرشودي ، وكما فعل الرصافي مع مصطفى علي قبيل وفاته ، باعطائه اوراقه الشخصية وكتبه المخطوطة ، كان الامر نفسه مع الرشودي ، فقد قدم الاول اوراقه وكتبه المخطوطة ومنها بعض مخلفات الرصافي الى الاستاذ الرشودي . ولم يتردد الرشودي في نشر تلك المخلفات القيمة ، وكان امينا في كل ما نهد اليه .

تعرف الرشودي على مصطفى علي الا من خلال الردود الخطيرة التي كتبها مصطفى علي كتاب الدكتور بدوي طبانة عن الرصافي ، وهو اول كتاب يصدر عن شاعر العراق العظيم ، وقد كتب مقدمته الاستاذ محمد رضا الشبيبي ، وقد تضمن الكتاب ومقدمته الكثير مما وجده مصطفى علي جديرا بالتصحيح والاسدراك والتنبيه . وربما تنبه مصطفى الى اسم الرشودي الا من خلال الكتاب الاول للرشودي ، وهو (ذكرى الرصافي) المطبوع ببغداد عام ١٩٥٠ . والغريب انهما لم يلتقيا الا عام ١٩٦١ ، وقد ادرك مصطفى علي بعد الاصدارات العديدة للرشودي (من اثار الرصافي اراء ابي العلاء المعري والادب الرفيع والمحفوظات الشعرية) وكتابه الكبير عن الزهاوي انه امام باحث مرموق جدير بان يحمله امانة الحفاظ على تراث اعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث .

في الايام الاولى من انعقاد الصلة بين الاثنين ، عرض مصطفى علي على الرشودي القسم الاول من شرحه لديوان الرصافي وطلب منه ان يجيل النظر فيه ويبدي ملاحظاته عليه . ويقول الرشودي انه مضى في المراجعة الى اخر قسم من هذا الشرح ، وقد بدأت وزارة الاعلام العراقية بطبع الكتاب عام ١٩٧٢ واستمر الى سنوات تالية ، حتى ظهر كاملا في خمسة اجزاء . وقد قام الرشودي ايضا بتصحيح تجارب الطبع او الاستدراك عليها ،ذلك لان الاستاذ مصطفى علي لم يعد يقوى على القراءة بعد ان ضعف بصره كثيرا . واستمرت الصلة بينهما الى وفاة مصطفى علي عام ١٩٨٠ . ووفاءا لتلك الصحبة الادبية الطيبة ، اصدر الاستاذ الرشودي كتابا عن صديقه مصطفى علي عام ١٩٨٩ ، تضمن سيرته العامة واثاره الكتابية .

هؤلاء هم الشخصيات الرئيسة في حياة الاستاذ عبد الحميد الرشودي الادبية . غير انه حدثني مرارا عن شخصيات لامعة اخرى ، كانت له صلة وطيدة بها او باثارها ،

بعقوبا .. سيرة مكان

وديع العبيدي

مدينة عشت فيها أعواماً قليلة، وعاشت فيّ كلّ أعوامي، تاركة بصماتها على صيرورتي.»

باع أهلي البيت في (محلة اللوكة) قره غان (جلولاء) بمائتين وسبعين ديناراً لعائلة من نفس المحلة [أرملة جسّو(جاسم)] في الصف المقابل وانتقلنا إلى مدينة بعقوبا. الفضاء المنفتح من كل الأطراف لا تحده تضاريس طبيعية أو عوامل مانعة سوى نهري خريسان وديالى وعلى كل منهما جسور وقناطر مريحة. كنت في أول عقدي الثاني، وقد حملت معي هواياتي الأولية في القراءة والرسم، لتتبلور وتتعمق وتتأكد في مدينة بعقوبا التي شهدت أول كتاباتي ونشرياتي ومشاركاتي الثقافية وفوزي بأول جائزة أدبية، في منتصف عقد السبعينيات، الذي موضع تحولات جذرية متناقضة هيأت لأبشع دكتاتورية مأجورة في تاريخ بلاد ما بين النهرين، صادرت كل ما هو جميل وحقيقي وجدير.

تشكل بساتين الفاكهة والحمضيات القسم الأعظم المحاذي للأنهار، بينما تتسع غابات الأشجار الجافة والنخيل مع الابتعاد عن ضفاف الأنهار داخل العمق. وحتى أوائل سبعينيات القرن الماضي كانت آثار غابات النخيل واضحة في الجانب الشرقي لطريق بغداد – شهربان الرئيسي، الموقع الذي تشغله اليوم منطقة (مدينة) التحرير خلف محطة القطار. وكان سكننا في بعقوبا في المنطقة المسماة (أم النوه)، و [النُوَهْ] هي النواة داخل التمرة، ثمرة النخيل. وكانت مدرسة (ساحة) الأمين هي نهاية (أحد أركان) المدينة يومئذ، وإلى الخلف منها باتجاه (المبزل) طريق مندلي نخلات متناثرة مختلية بنفسها أو كما يقال (أعجاز نخل خاوية) وبداية انشاء بعض دور سكنية خلالها مثل (المستوصف البيطري) يومئذ.

بساتين ديالى.. وقف الحكومة

(وقد جذبت خصوبة نهر ديالى وكثرة بساتينه رجالات الحكم والمتنفذين، لاقتطاع مساحات واسعة من الأراضي، بعد أن وضعوا عليها أتباعهم وأذنابهم يستغلونها ويستثمرون غلاتها.) ص٢٥ من كتاب "يوسف عزالدين شعره وتجديده" . ويروي أهالينا أن الملك وحاشيته كانوا يمرون خلال المدينة في مواعيد محددة من العام. ماضين نحو أعالي ديالى.. حيث يقضون أوقاتاً في منتجعاتهم وإقطاعاتهم خلال الصيف.. والمعروف أن حكومة ياسين الهاشمي الأولى في الثلاثينيات هي التي أقرت قانوناً لتمليك أعضاء الحكومة والبلاط والبرلمان اقطاعات من أراضي العراق، وكانت أراضي ديالى الزراعية وبساتينها المحاذية لمجرى النهر تحديداً من حصة البلاط، وقد استمر العمل بهذا القانون طيلة العهد الملكي. وهو من القوانين التي أعاد الحكم البعثي الشوفوني إحياءها وأعيد تسجيل أراضي وبساتين ديالى الملكية بأسماء أعضاء القيادة (مجلس قيادة الثورة والقيادتين القطرية والقومية والحكومة وأعضاء الفروع والقيادتين العسكري وكبار الضباط).

كانت أجود الأراضي هي التي في أعالي المجرى توزع بالتسلسل حسب المواقع القيادية للمسؤولين. ومن ظلال هذا القانون البيوت أو القصور الرئاسية في كل محافظة والقريبة الشبه بتقليد التوشكات [Dutch] التي أجره أحد ملوك فرنسا في القرن العاشر الميلادي قبل أن تنفصل أراضي ألمانيا عن فرنسا، وهو أول من اتبع نوعاً من الحكم اللامركزي يتمتع فيه حكام الأقاليم بسلطة كاملة، بينما هو يتقشف الأقاليم وفق جداول شهرية ويراقب سياسات الحكم. ذلك ما لم يكن له أثر في سياسات الدكتاتور المعروفة غير نزعة امتلاك القصور الفارهة تمثلاً بزعيم أوربي آخر هو أدولف هتلر الذي تحولت قصوره (الشخصية) إلى متاحف وآثار. ويذكر في هذا المجال، أن أقدم وأرفه المباني في مدينة السعدية (قزلرباط – الحمراء) يقصر "علي بيك" عندما أراد ورثته بيعه أوصى صدام بشرائه وترميمه والمحافظة عليه، ولا يعرف مصيره اليوم. وعندما هاجر بعض أهالي خانقين خلال حرب الثمانينيات نتيجة وقوعها تحت مدى المدفعية المضادة استصدر قرار بتمليك دورهم وأراضيهم لأعضاء حزب البعث والمسؤولين في المدينة مما حرم أهاليها من العودة إليها بعد ذلك. ناهيك عن بيوت المهجرين والأملاك المصادرة وتبعات التعريب وغير ذلك..

بين النهر والجدول..

لمسافة معينة يتخذ مجرى نهر ديالى وجدول خريسان خطين متوازيين مترافقين تاركين بينهما مسافة متفاوتة بحدود كيلومتر واحد. ويمكن تصور البقعة المحصورة بين النهر والجدول غابة غناء مثمرة حفية برائحة الطبيعة الأولى وبكارة الوجود الأزلية حيث يلقي لديها الانسان عناءه ويتنفس رحيق الحياة المحمل بعبق الأيام والسنين والعصور. ان طبيعة الأرض المحصورة في هذه البقعة مندرجة في الارتفاع من ضفة نهر ديالى صعوداً نحو مجرى خريسان. وقرب نهر (جدول) خريسان من نهر ديالى الكبير يقلل من أهميته الاقتصادية كقناة للاروماء الزراعي تم إنشاؤها إبان العهد العثماني، والأرجح أنها أنشئت أو روعي في إنشائها خزن مياه الفيضانات ووقف اندفاعها في باطن المدينة. ويذكر أن البقعة بين النهرين هذه كانت تغرق بالمياه أثناء الفيضان الذي تصل تمدداته الدور القريبة من خريسان وتطفو المياه في دور الادارة المحلية القديمة سيما القريبة من طريق بغداد الرئيسي ما يقع خلف بناية النشاط المدرسي ومنزل المحافظ أيام السبعينيات . والحديث هنا عن فيضان عام ١٩٧٦ الذي استمر تهديده للمدينة قرابة اسبوعين. استنفر خلالها الأهالي في بناء حواجز أكياس رملية لوقف زحف الماء. لا شك أن الفيضانات التي تكررت خلال التاريخ كبدت الأهالي كثيراً من الخسائر والدمار، التي كان يمكن تجاوزها لو ابتعد الانسان في تحديد سكناه عن المجرى وبالتالي حقق فائدتين، بدل خسارتين. وتبقى فكرة تحويل ما بين النهرين (ديالى وخريسان) إلى متنزه وبارك للطبيعة أحد المشاريع الحيوية لاحياء بعقوبا ومنحها ميزة عملية لاجتماعها على نعمة النهرين.

وقد شهدت شوطئ النهرين تعليات ترابية مستمرة وتم تحويلها إلى متنزهات طولية تربط بينها شوارع متوازية حديثة تتوزعها بعض المنشآت السياحية والخدمية، لكن تلك المشاريع على نهر ديالى تحولت إلى مناطق أشباح مع اندلاع حرب الثمانينيات واختفاء الشباب [١٨ – ٤٥ عاماً] من حياة المدينة، أما ضفتي خريسان التي رصفت بالحجر والاسمنت وأضيفت لها حدائق مسيجة من الجانبين تحدها شوارع حديثة بالاتجاهين فقد وفرت فرصة لنزهات المدينة في عصاري الصيف والأعطال المدرسية بين قنطرة خليل باشا حتى بداية كراج سيارات بغداد أو ما بعدها نحو بهرز وشفته أو خلل بساتين المدينة وشارع عمر عبد العزيز. ويعتبر فضاء أوقات الفراغ وعدم وجود أماكن للتسلية أو الرياضة أو مكتبات عامة واسعة أو مقاهي ونوادي حديثة تستجيب لتطور الحاجات المتزايدة جانب من معاناة أبناء المدينة، وهو أمر لم يؤخذ بنظر الاعتبار في تخطيط المدن انعكست سلبياته على الجانب الاجتماعي للمدينة. أما الحال اليوم فحدث ولا حرج كما يقال.

مداخلة حول تسميات المدن

ويمكن اتخاذ اسم المدينة دالة تاريخية للاستدلال على قدمها وزمن تأسيسها أو ازدهارها، فكلمة [بعقوبا] تنتمي للغات القديمة وأقرب إلى الاشورية أو الآرامية ، وثمة سلسلة من أسماء مدن قريبة البنية والايحاء مثل: بابل، باصيدا، باجسره، باعشيقه، برطله، بعبدا. والصحيح في اللفظ هو (باعقوبا). ولكن الأحرف الهوائية اختزلت وخففت بما يجعلها أقرب للصرف العربي مع بقاء أصلها غير العربي. ويلحظ أن هذا البناء اللغوي استمر في مرحلة تالية مع تغيير بسيط لمواءمة التغاير اللغوي ممثلة في وضوح لفظة (بيت) الارامية القديمة في بداية الكلمة مثل بيت حانون. ويمكن الاستناد إلى هذه الظاهرة ومثاربانها في اللغات والثقافات المختلفة لاستنتاج قاعدة سادت حتى عهد قريب في تسميات المدن في الشرق الغرب. فكلمة (شهر) الساسانية معناها مدينة وقد وردت في عديد تسميات المدن مثل خرمشهر، شهرزور، شهربان، أو ورود لفظة (خان) مثل دربندخان، قره خان، خان بني سعد. أو دخول كلمة (آباد) في أسماء مدن في ايران وباكستان مثل بندر آباد، اسلام آباد، مهاباد. وتقابلها كلمة (غراد) السلافية مثل لينغراد، أو (بوليس) الاغريقية القديمة في تسميات بعض المدن مثل هليوبوليس ، أكروبوليس، تريبوليس (طرابلس). ان استعراض الأسماء الأصلية القديمة للأماكن والمواقع والمدن والبلدان يكشف كثيراً من الحقائق التاريخية التي تساعد في ترسيم وصياغة ثقافة المكان والسكان، ويدعم عناصر ثبات الشخصية والاستقرار النفسي والفكري للفرد ويوثق صلته بالبيئة. ان الدلالات اللغوية التاريخية والاجتماعية لأسماء المدن وعلاقتها بنشأة المستوطنات وأهميتها من السمات و الخصائص الذاتية للمكان الذي يمنحها نكهة خاصة وترددات عميقة في نفوس الأهلين، وما لذلك من تعالقات ومقاربات بنيوية مع مفهوم الاستقرار الروحي والنفسي والهوية الوطنية. أن أكبر أسباب قلق الشخصية العربية وتذبذبها هو عدم استقرار الصلة بالمكان واضطراب عملية الاشباع النفسي والروحي للبيئة بأثر التغيرات السياسية والعسكرية العنيفة المتواصلة وتدخلها في تغيير خصائص المكان الجغرافي والاجتماعي وتحريف صورها وأسمائها، ومن مهازل التاريخ أن غير قليل من الناس ولدوا في أماكن وهمية لا يمكن تحديدها في الخرائط الجغرافية، جراء تغيير أسماء المدن والاستمرار في إطلاق تسميات جديدة متعلقة بالظرف السياسي التي ما يني ظرف سياسي آخر يلغيها ويلقي عليها بصبغته، وهذا من علائم خيانة المكان والإنسان على السواء. ومما يقتضي تقليدياً أخلاقياً وطنياً أصيلاً وتشريعاً قانونياً يمنع تغيير المعالم التاريخية والآثارية ومعالمها اللغوية والاجتماعية والأثنية. ان هذا السلوك يرتبط غالبا بالحملات الغازية الغريبة عن السكان فتحاول تزوير المعالم وإعادة ترسيم المكان بما يمنحها جذوراً تاريخية هشة (في المكان)، بيد أنها بذلك تزيد من هوة علاقتها بالأهلين وتبقى منبوذة حتى زوالها، وهي ما وسم كثير من الحكومات والحكام المتناوبين على العراق. ولابدّ للأخطاء من نهاية والانحراف والضلال من نقطة عودة للوعي والاخلاق والعقل والحقيقة.

تاريخ المدينة..

لا توجد معلومات مؤكدة عن تاريخ مدينة بعقوبا وتطوراها عبر القرون. ولكن الثابت أنّ تاريخها يرجع لما قبل التاريخ ، حيث تعاقبت على أرضها مراكز حضارية قديمة أشهرها مملكة (أشنونا) المعاصرة لسومر وبابل وأشور، وكان وقوعها شرق نهر دجلة منحها أهمية استراتيجية وجيبولوليتيكية سياسية في الصراع بين ممالك ما بين النهرين (دجلة والفرات) والممالك الفارسية مثل عيلام وساسان، ناهيك عن مرجعيتها الحضارية والثقافية لحضارات وادي الرافدين القديمة والآثار المتبادلة بينها .

من بحث طويل نشر في موقع (الحوار المتمدن)

لقاء مع لمعان امين زكي

هؤلاء اساتذتي ..

لمعان امين زكي ... الرائده في طب ألاطفال، ألإستاذة ورئيسة قسم طب ألاطفال في الكلية الطبية و المستشفى التعليمي ، مديرة ومُؤسسة لرعاية الامومه و الطفوله ، رئيسة جمعية أطباء الأطفال العراقية، و المشرفه على لجنة الدراسات العليا في طبالاطفال في جامعة بغداد، والخبيرة الدولية في التلوث الكيمياوي و ألاستشارية في منظمة الصحة العالمية في التسمم في الزئبق .

ولدت في سنة ١٩٢٣، أكملت دراستها الابتدائية، المتوسطة والثانوية. تخرجت من كلية الطب بغداد سنة ١٩٤٦. حصلت على شهادة الدبلوم في طب الاطفال من جامعة لندن. حصلت على عضوية كلية الاطباء الملكية، المملكة المتحدة. حصلت على زمالة كلية الاطباء الملكية، المملكة المتحدة.

اخترت دراسة الطب مدفوعة بمثابة غامضة هي مزيج من الحلم و الخيال و الامال، او بالتعبير الجميل للدكتور محمد عابد الجابري بذهن حالم وليس بعقل عالم. وكنت ارجو ان اجمع بين الطب و الادب، ولم اكن ادرك يومئذ كم يتطلب من فكر المرء وروحه كل واحد من هذين المسلكين، كان الدوام في الكلية مختلفا كل الاختلاف عما الفناه اثناء الدراسة الثانوية، اولا، في المدرسة الثانوية كان المحيط كله من الاناث باستثناء مدرس الرياضيات المرحوم الاستاذ على مظلوم، في حين ان محيط الكلية كان يسيطر عليه الرجال، و الدراسة كانت بالانكليزية و الدرس على شكل محاضرة المتكلم الوحيد فيها هو .

كنا ننتظر الاستاذة تحت شمس الشتاء او في ظل الاشجار في مدخل الكلية. وكان في مكان المطعم الحالي للكلية رقعة جميلة من الحشيش الاخضر تظللها نخلات باسقات واشجار نبق عتيقة. وكان الاستاذ منهم يقبل من المستشفى بمعطفه الابيض فنخف نحن لدخول قاعة الدرس ويدخل هو غرفة جانبية هو غرفة يستبدل فيها معطفه الابيض بالروب الجامعي الاسود المهيب. وكان جميع المحاضرين ملتزمين بارتداء الروب الاسود اثناء المحاضرات وبارتداء المعاطف في المختبرات وردهات المرضى الطلبة ايضا كان لهم زيهم الذي هو الزي المستعمل اليوم باضافة شعار كلية الطب مطرز على الجيب الايسر في صدر السترة. وكان ارتداؤه في الايام الاعتيادية اختياريا و الزاميا في الحفلات و المناسبات الرسمية

الاساتذة الرواد.

من هم اساتذتي ؟ ما اصعب الاجابة على هذا السؤال! لكل استاذ منهم ميزته ولكل موقعه في النفس، واني الان والله ، لاستحييهم من وراء الغيب وكانهم يقرؤون ما اكتب. دعني اروي لك بعض ما علق في الذاكرة عن افراد ذلك الجيل الكريم الذي سبقنا.

المرحوم الاستاذ هاشم الوتري بخلفيات ثقافته الاسلامية العربية وطلعته المهيبة، ان ما يهمه انتقاء الكلمات و التعابير و الاستشهاد بابيات من الشعر العربي. كما كان يحرص على ذكر ترجمة المصطلح العلمي باللغة العربية ويشرح الاصل و الاشتقاق وكثيرا ما كان يستطرد فينقل مناقشاته في المجمع العلمي الى قاعة الدرس ،

ومعه كان الاستاذ صائب شوكت فارسا حلبة وفرسا رهان، يتنافسان ويتناوبان على عمادة الكلية ولكل منهما اتباعه ومريدوه. كان الاستاذ صائب شوكت شخصيته الطاغية واندفاعه في الوطنية يثير محبة الطلبة ورهبتهم في ان واحد . كان يراقب دواء الطلبة والمدرسين في الردهات والمختبرات وبحرص على مظهر الطلبة وسلوكهم ايضا، ليش شعرك طويل.. انت بنية؟ طلع ايدك من جيبك حين تكلم استاذك.. كان يريد من الطبيب ان يسلك سلوك الرجل الكريم، والادب كان يقضي ان تكون السترة مزررة واليد خارج الجيب حين يكلم الفتى ولده او من هو اكبر منه. وكان للاستاذ شوكت الزهاوي مثل هذا الحرص على سلوك الطلبة كما انه اثر الانصراف الى البحث العلمي فلم يفتح عيادة خاصة تدر عليه ارباحا اضافية

الاستاذ المرحوم عبد الهادي الباجه جي بتربيته الاسطنبولية ودراسته الباريسية كان مثال السيد الكريم الدمث الفكه والانساني المترفع عن الصغائر كان يلقي درس السريريات الابتدائية بعربية دارجة بغدادية صميمة وبمصطلحات عربية فصيحة وجميلة، كانت مستعملة في كليات الطب العثمانية التي كانت تتعامل مع اللغة العربية تعامل الغربيين مع اللاتينية، مع ترد المصطلحات الاجنبية كما يلفظها الفرنسيون، فيسر الطلبة بترديد تلك الاصطلاحات على لقد انطبع في ذاكرة طفولتي نظيفا اشقر جميلا مهذبا حلو المعاملة والتصرف طريقته .

ثم المرحوم الاستاذ جلال العزاوي، كان رقيق القلب مرحا محبا للاطفال ينتظره كل صباح عدد منهم في مدخل قسم العيون فيوزع عليهم نقودا معدنية وهو يضحك معهم ويمسح ويمد يده مداعبا شعر هذا قارصا خد ذاك والكل ضاحك سعيد بمداعبات.

ثم هناك جماعة الاطباء البريطانيين وعلى رأسهم طبعا الاستاذ سندرسن بلغته المهذبة المتقناة وحرصه على سلوك الجنتلمان الانكليزي. كان يحضر الى المحاضرة متأخرا وهو يتعلل بكثرة المشاغل ويقول خير لكم ان احضر متأخرا من ان لا احضر ومحاضراته تكاد ان تكون على شكل املاء من دفتر كبير سجل فيه المعلومات ، ويكتب على السبورة بخط جميل وكان له حضور مهيب بقامته الطويلة وشعره الفضي وربما لنفوذه الذي يعرفه الجميع ايضا.

والاستاذ ملز العالم المخلص المجد، كان يتمسك بسلوك السادة في العهد الفكتوري، يفتح الباب وينحني لدخول الطالبات ويخاطب الجميع بادب وظرف جم. لقد كان يتمنى ان يكون قبره في بغداد فلم تتحقق له الامنية، ولكن وصيته شملت بعض الذين عملوا تحت اشرافه في المختبر المركزي وقد استلموا المبالغ متعجبين .

الاستاذ بيتي كان يدرسنا البكتريولوجي وشيئا من امراض الطفيليات، وقد كان ضليعا في عمله وكانت دروسه شائقة ولذيذة، وهو سكوتاندي قصير القامة اشقر الشعر جم النشاط والحركة قريب من الطلبة، وزوجته كانت لطيفة ودودة. ولانها كانت اطول منه قامة ونحيفة جدا فقد اطلق عليها بعض الطلبة الخبثاء لقب دودة البلهارزيا وحين ترك العراق، شغل بيتي كرسي البكتريولوجي في كلية طب شفيلد الى حين تقاعده

الاستاذ ستيسي، استاذ علم العقاقير وفن التداوي، كان جادا متحفظا يغلب على سلوكه الخجل لكنه كان ملتزما بمواعيد المحاضرات والدروس السريرية، وكانت دروسه شائقة يقبل عليها الطلبة بحماس. وفي وسعي ان اقول بانه كان من خيرة من درس الطب الباطني في تاريخ الكلية، وكان الطلبة يكبرون فيه علمه وحرصه وانضباطه وحسن تقييمه للطلبة. وقد شغل منصب استاذ في كلية طب سنت توماس في جامعة لندن حتى تقاعده. وكانت له مكانة مرموقة بين اساتذتها. درس النسائيات و الولادة كانت تدرسه سيدة سكوتاندية هي الدكتورة ماكداول ويساعدها في الدروس السريرية د. فؤاد مراد الشيخ و الاستاذ الدكتور كمال السامرائي وقد كان شابا يرتقي العتبات الاولى في المهنة والتدريس. كان الدكتورة ماداول خجولة ومتحفظة واعتقد بانها لم تجد من معاونيها الدعم والتعاون المالوفين او هكذا كانت فكرة الطلبة. وارجوا ان لايكون ذلك التمييز الجنسي لكونها امرأة تر أست قسما مهما من اقسام الكلية.

اساتذة طب الاطفال

تعمدت تأخير كلامي عن اساتذتنا في طب الاطفال لانهم كالعادة كانوا يستلموننا خلال السنوات المتأخرة من الدراسة او لا، ثم بعد ذلك اصبحوا زملائي الكبار ورؤسائي في العمل وقد طغت صفة الزمالة هذه على علاقتي بهم ولابد لي من ذكر ميزة كانت تجمع بين كل اطباء مستشفى حماية الاطفال. تلك هي حسن الزمالة والتكاتف في العمل اولا ثم الصبر العجيب على كثرة العمل بصرف النظر عن ساعات الدوام الرسمي. فقد كانت مشافي الاطفال ف القطر قليلة. وكان طبيب العيادة الخارجية منهم يعالج ٣٠٠ – ٣٥٠ طفلا في اليوم ، هذا الى جانب واجباته في الردهات وفي الاعمال الادارية، الامر الذي جعل اهتمام الاستاذة يترکز على المحاضرات النظرية. اما التدريس السريري فقد اعتمد على جهد الطلبة في التعلم، مثلا، يدفع لنا الاستاذ بمجموعة من الاطفال ويقول هذه كلها حالات حصبة. فنستلم نحن الاطفال ونقارن اعراضهم بما هو موجود في الكتاب، اي اننا كنا اقل اتكالية على الاساتذة من الوجبات المتأخرة من الطلبة

الاستاذ الدكتور عبد الله القصير كان يجمع بين ادارة مستشفى حماية الاطفال وبين عمله كطبيب وكأستاذ. وهو موصلي وواحد من رعيل الاطباء العثمانيين كان اول من تخصص في طب الاطفال في العراق بعد ان خدم في الجيش خلال الحرب العالمية الاولى، ثم تقلب في ادارات طبية مختلفة قبل ان يطمئن الى اختصاص طب الاطفال. وهو اول من عمل على فصل العيادات الخارجية للاطفال عن العيادات العامة في المستشفى الملكي، ثم اول من تولى مديرية مستشفى حماية الاطفال. وكانت له الريادة في استحداث عدد من مشايع رعاية الطفولة في العراق بما في ذلك تأسيس جمعية حماية الاطفال

من حوار اجراه الاستاذ ابراهيم القيسي في جريدة العراق. ١٩٨٥.

العراق في سنوات الحرب العالمية الثانية

الأزمة الاقتصادية ومركز تموين الشرق الاوسط

د. عدنان القطان

ارتأت الحكومة البريطانية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية تخفيف بعض التزاماتها الاقتصادية تجاه بلدان الشرق الأوسط الواقعة ضمن هيمنتها، أثر اشتداد الغزو الإيطالي لليونان في ٢٨ تشرين الأول ١٩٤٠م، واستناداً إلى المقترحات التي قدمتها ثلاث مؤسسات بريطانية بضرورة إيجاد مركز للشحن والتموين خاص بالمدنيين بالشرق الأوسط فقد تأسس (مركز تموين الشرق الأوسط) في نيسان ١٩٤١م في القاهرة، لتخفيف المصاعب الاقتصادية التي جابهت الشرق الأوسط بإدارة ضباط بريطانيين كانوا يعملون ضمن الأسطول البريطاني الموجود في منطقة البحر المتوسط وبمساعدة عدد من ممثلي بريطانيا السياسيين الموجودين في بلدان الشرق الأوسط، وبالتعاون مع ممثلي وزارة النقل الحربي البريطانية والشركة التجارية البريطانية، وقد ساهمت الولايات المتحدة الأمريكية بإدارة هذا المركز بعد عام ١٩٤١م وتمكنت عن طريق المركز من الإشراف الكامل على منطقة الشرق الأوسط، وساهمت الولايات المتحدة في تدعيم هذا المركز بعد عام من تأسيسه وبعدها أصبح المركز (منظمة بريطانية – أمريكية) وتضمنت واجبات المركز وضع الأسس العامة لأنظمة التموين الواجب تطبيقها في بلدان الشرق الأوسط، كما تضمنت استخدام التدابير لسد حاجة الاستهلاك المدني في تلك البلدان من السلع المستوردة عبر البحار وتوزيعها وتصدير الفائض إلى بلدان الحلفاء والبلدان المجاورة.

شمل عمل مركز تموين الشرق الأوسط عدة أقطار في آسيا وأفريقيا مثل (مصر، السودان، ليبيا، مالطا، قبرص، الحبشة، أريتريا، الصومال البريطاني، فلسطين، الأردن، سوريا، لبنان، السعودية، العراق، تركيا، ايران، عدن)، وقد ساهم في وضع الأسس العامة لأنظمة وقوانين التموين لبلدان الشرق الأوسط في مجال الاستهلاك وتثبيت الأسعار ومكافحة التضخم وتنظيم تبادل المنتوجات الزراعية المحلية بين بلدان الشرق الأوسط، بموجب قانون الإعارة والتأجير الأمريكي، ويلحظ أن أمريكا اتجهت سياستها وفق هذا القانون خلال سنوات الحرب العالمية الثانية نحو دعم بريطانيا إدراكاً منها بأن أي انهيار لبريطانيا يمثل خطراً على أمنها، فكان التعبير العملي لإبعاد هذا الخطر هو قانون الإعارة والتأجير الذي صادق عليه الكونغرس الأمريكي في ١١ آذار ١٩٤١م، ووفق هذا القانون كانت بريطانيا أول المستفيدين منه.

ساهم المركز في توزيع المواد المستوردة بموجب هذا القانون الأمريكي (قانون الإعارة والتأجير) مثل، السكر والشاي والأقمشة والأدوية الطبية، كذلك قدم خبراء المركز خبراتهم وإرشاداتهم للمصانع في بلدان الشرق الأوسط، وإنشاء المركز لجنة مهمتها إسداء النصح والإرشادات الطبية والحصول على الأدوية والمستلزمات الطبية عن طريق مجلس تموين الشرق الأوسط، وساهم المركز في تقديم المساعدات والإرشادات في مكافحة الآفات الزراعية وتطوير سبل الزراعة في منطقة الشرق الأوسط، وتمكن من توفير كميات كبيرة من الطحين المخلوط بما يزيد عن (٥٠٠) ألف طن سنوياً، وحصل العراق بموجب قانون الإعارة والتأجير على تجهيزات متنوعة بلغت قيمتها حتى الحادي والثلاثين من آب (١٩٤٥م) نحو (١،٣٢٠،٠٠٠) ديناراً من السلع والبضائع الضرورية التي تعذر العراق استيرادها من مكائن وآلات وفولاذ وإطارات سيارات ... إلخ.

كان من نتائج نشاطات المركز هيمنته على الفروع الرئيسية للتجارة الخارجية والتموين وشؤون الاقتصاد في منطقة الشرق الأوسط، إذ انخفضت استيرادات المنطقة من البضائع الاستهلاكية بمعدل ثلاثة أضعاف مرات ونصف عما كانت عليه قبل الحرب، إضافة إلى سيطرته على المنتجات المحلية في تلك البلدان والتي كان يوزعها حسب رغبته ومصالحه العليا، وتحت ضغوط الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت ترى أن إطلاق الحرية التجارية أضمن لازدهارها وتغلغلها في المنطقة.

وبسبب الخلافات المستمرة ما بين مركز المصدرين الأمريكان والحكومة البريطانية، قام المركز بتصفية أعماله في تشرين الأول ١٩٤٥م، وما ساهم في تصفيته هو عجزه عن اتخاذ التدابير اللازمة للحد من ارتفاع أسعار المواد التموينية لاسيما الغذائية منها التي ارتفعت خلال سنوات الحرب، وفيما يخص العراق فقد أولى المركز اهتماما خاصا بصادرات العراق من المنتوجات الزراعية، وفي الوقت نفسه سيطر على مستوراته من المواد التموينية، كما أعار قسماً من خبرائه الفنيين لتنظيم شؤون التموين في العراق.

كما شمل (قانون الإعارة والتأجير) بدعم العراق بالمنتوجات الزراعية والصناعية الامريكية في ٢ أيار ١٩٤٢م، إذ عدت الولايات المتحدة الامريكية الدفاع عن العراق أمراً حيوياً للدفاع عن مصالحها الاستراتيجية لذا قدمت مبالغ مالية للعراق تصل قيمتها إلى (٨٩،٨،٦٥٦) دولارا من تجهيزات هذا القانون، لكن العراق لم يستفد من تلك المساعدات، إذ استحوذت القوات البريطانية على معظمها، كما عانى العراق من سلبيات مركز تموين الشرق الأوسط من حيث تنظيم وتوزيع مواد التموين الضرورية في العراق، فقد استحوذ المركز على نسبة (٥٠٪) من المواد الغذائية في العراق، بهدف تأمين احتياجات قوات الحملة البريطانية على العراق وإيران، وبتأثير المركز نفسه اضطر العراق إلى زيادة صادراته السنوية من تلك المواد لغرض تموين وتجهيز قوات (الحلفاء) في منطقة الشرق الأوسط، وفي هذا الصدد ذكر (عبد الجبار الجلبي) وزير التموين للفترة من (٢٣/ شباط/ ١٩٤٦ – ٢١/ أيار/ ١٩٤٦) عن السلبيات فقال: "إن معظم العاملين في مركز التموين لا يعتمدون الدقة والتخطيط في إدارة شؤون المركز، وعند تطبيق برامج المركز يلاحظ أن هناك تفاوتا وغبنا في التوزيع بين ما يخصص للعراق وبين ما يرسل إليه فعلا، فمن كان يملك نفوذا أقوى يحصل على حصته من تموينات المركز"، وأضاف: "كان لتدخل المركز في استيرادات العراق من المواد التموينية الأثر السلبي في تقنين حصته من السكر والشاي والقهوة والمنسوجات القطنية، وبالنظر لضعف ما كان يخصصه المركز للعراق من المواد التموينية فضلا عن توزيعه العشوائي القائم على الارتجال والرغبة دون اعتبار لعدد سكانه أو اهتمام بحاجته الحقيقية، فقد كان العراق يضطر في أحيان كثيرة إلى تجاوز تلك التخصيصات من تأمين حاجاته التموينية".

بسبب تطورات الحرب وتوسع امتدادها في جبهة البلقان ازدادت أزمة الغلاء وشحة المواد التموينية، وتأزم الوضع بشكل أكبر بين الحكومة البريطانية وحكومة الدفاع الوطني وفرضت بريطانيا حصاراً اقتصادياً وماليا على العراق،

عن : مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية

نص نادر

من أوراق مصطفى علي في العشرينيات

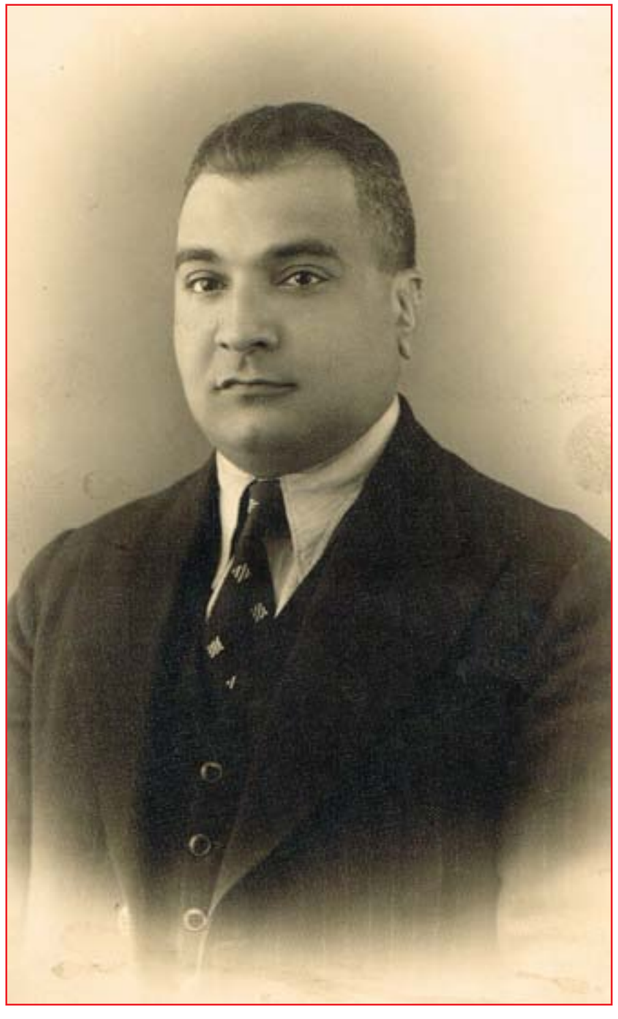

إعداد : ذاكرة عراقية

كانت معـزز برتو مديـرة مدرسـة البارويـة الابتدائية للبنـات، فتـاة تقدمية.. درست في تركيـا في إسطنبول.. البيت الذي شغلتـه مدرسة البنات، كان يعـود الى عائلة فهمي المدرس.. هـذا البيت كانت تشغله من قبل ذلك مدرسـة البارودية للبنين.. اخ فهمي المدرس، وهو جميل المدرس، كان مولعـا بـزرع الـورود "بالسنادين"، كان يتردد علـى المدرسـة للعنايـة بازاهـيره، ولم يمنعه مدير المدرسـة ناجـي القشطينـي، لأن المدرسـة كانـت للبنين، ولكـن عندما حلـت مدرسة البنـات محل مدرسـة البنين، أراد جميـل المدرس مواصلة زيارتـه، إلا ان المديرة معزز برتـو، رفضـت الإذن لـه بالدخول، لأن التقاليـد لا تسمح بذلـك. زعـل جميل المدرسـن وكتب كلمة ضـد معزز برتو، نشرهـا في جريـدة كانت تصـدر آنذاك في بغـداد اسمها (البدائع)، يصدرها داود العجيل. نشر المقال في عددين.. لم اكـن مطلعـا علـى المقـال.. ولكننـا كنا حسـين الرحال وسليـم فتـاح وانـا، طلابـا في كليـة الحقـوق. سليم في الثـاني وحسـين وانا في الأول. وفي صباح يوم باكر، كنا في مقهـى الشابندر، القائمـة الآن قرب المحاكم. وما زالت المحاكـم هنا، فـان هذا المقهى لـن يتبدل. دخلـت فوجدت توفيق الفكيكي يكتب شيئا، سألته عما يفعل فقال: انا ارد علـى (الطبيـب الاجتماعي) الذي رد هـو الآخر على مقال جميـل المدرس (الـذي نشر باسم مستعـار). اخذت المقال الذي كتبـه الطبيب الاجتماعـي، وقرأتـه فوجدته جيداً، قلت لتوفيق: هـذا المقال جيـد. لماذا ترد عليـه، وشرحت له وجهة نظـري. قال توفيق: تصورت انك معنا. قلت له: لا انـا لست معكـم.. ولا تزعلوا اذا قمت بالـرد عليكم في حالـة نشركم أراءكم. توفيق الفكيكـي نشر مقالا.. هاجم به الطبيب الاجتماعـي (سامي شوكت).. وقمت انا بالرد على توفيق. هذه هـي بداية المعركة. بعد ذلك قام شخص آخـر بتأييـد توفيق الفكيكـي.. وقع مقالـة باسم م.ع.ع. (مصطفى عزت عبدالسلام) أخ محمود عزت عبد السلام وهو متقاعد الآن.. عوني بكر صدقي ردّ علـى م.ع.ع.

وهكـذا انتقـل الموضـوع مـن مسألـة تعليـم البنـات علـى الموسيقـى والرقـص الـخ... الى قضيـة السفـور والحجـاب. هكـذا انزلقنـا الى معركـة، لم نفكـر فيها في البدايـة.. كنـا نحـن بجانـب (السفوريـن)، والآخرون (الشعـب كلـه الا القليـل) كانـوا بجانـب (الحجابيـن). هاجمنـا بعض المتزمتيـن وخطبوا ضدنـا.. واحلوا دماءنا لأننـا طالبنا بحق المرأة بالسفور.. الجرائد بدأت بهجوم شديـد علينـا (شتائـم).. اضطرت الحكومـة بعد مراجعة هـؤلاء الأشخاص الى غلق باب النشـر. ولكن في الواقع أغلقتـه بوجهنـا فقـط، بوجـه السفوريـن. اطلقت يـد الحجابيـن وقيدت ايدينـا.. واصبحنـا مثل الشخص مقيد اليديـن، يضـرب ولا يستطيـع الدفاع عن نفسـه.. شتائم لا توصـف.. مثلا مقالات (مصطفى القاضي) الذي استخدم الفاظـا غير لائقـة.. وطالبونا بإخـراج امهاتنا واخواتنا سافرات!

انـا كنت في الواقـع انشـر بأسمـاء مستعـارة كثيرة.. لكـن عندما كانت المسألـة تحتـدم في النقاش، كنت اخرج باسمي الصريح، ولا اتستر.

هاجمنـا بهجت الاثـري، إبراهيم ادهـم الزهاوي، حسين علـي الظريفـي.. ملا عبود الكرخـي.. آه.. شاعر شعبي.. يؤثر على الشعب اكثر من عدنـا.

ثـلاث قصائد، واحدة منها المنشورة في الجزء الثالث من ديوان الكرخي (مع كلمة كنت قد نشرتها في حينه). يقول الكرخي:

شوفوا شلون جو شعيطها ومعيط
واحد يحلق الشارب وواحد يحف بخيط
بيهم ولد شعره يشبه الخريط
(هذا علي عوني)..

بعـد ذلك صدر مقال بتوقيع (لامعة)، ولكن الى يومي هذا لم اعـرف هـل ان (لامعـة) انثـى ام رجل متستـر بتوقيع مستعـار. لقد حاولت كثيراً، لكن لم اعـرف الحقيقة. وقد تناولها ملا عبود بقصيدة:

يا اديبه لامعه شعري لنشرك دافعه
. . . . . .
وين لبشر مصطفى والماي بالجره صفى

امـا نحـن، عندمـا رأينـا ان باب النشـر قد سـد بوجهنا، والهجوم يشتد علينـا يوما بعد يوم، قال حسين الرحال: انا عندي امتياز صحيفة، فقررنا إصدارها.

اصدرنـا العدد الأول من (الصحيفـة) في تشرين الثاني علـى ما أتذكـر ١٩٢٤.. اصدرنـاه بهـدوء.. لم يشاهـد خصومنـا، سـوى قنبلـة رميت عليهم فيها مقـالات تتمة لمقالات سليم فتاح.. فيه افتتاحية كتبتها انا، على ما اظن، مقال لحسين الرحال.

عندما صدر العدد الاول من الصحيفة.. سكت الحجابيون كلهم على الاطلاق.. أتذكر ان توفيق الفكيكي شاهدنا على اثره عند محمود حلمي فقال لي:

ولـو انكـم ضدنـا.. الا انني اهنؤكـم على هـذه المجلة. صدرت الصحيفة فسكت الحجابيون.. استمر النزاع بين الصحيفة، وبـين الرجعيين في ذلك الوقت.. تغلبوا علينا بانهـم قاومونـا مقاومـة شديـدة.لم يسمحـوا للصحيفة بالانتشـار، مـن جملـة المقاومة ارسلـوا الينـا اثنين قالا انهما على استعداد لجمع الاشتراكات.. وقعنا وصولات. اخذاهـا ولم يعـودا.. لم نقم ضدهما دعـوى.. احدهما لم اره والآخر انتسب الى الجيش. كلنا من المفاليس آنذاك.

اول مـا تعرفت بمحمـود السيد وحسـين الرحـال عـام ١٩٢٠، تعرفت عليهم بواسطـة عـوني بكـر صدقي.. الـذي كان طالبـاً معي في دار المعلمين، ومحمـود احمد كان يـزوره في هـذه الدار. كنـا نلتقي في حفـلات المولد النبـوي، وعـزاء الحسين التـي كانت تقـام في الجوامع قبيـل ثـورة العشريـن، بقصـد تحريـض الشعـب علـى مقاومة الإنكليـز.. كان زعماء الشعب العراقي قد وجدوا طريقـة للاجتماع هي طريقـة المولد والتعزيـة.. كان ذلك تمهيداً لثورة العشريـن. ملا عثمان الموصلي كان حياً. وجلبـوا ايضـاً مهدي البصير من الحلة. وبعـد قراءات موجـزة كان الاجتمـاع ينقلب الى خطـب وقصائد ثورية ضـد الاستعمـار.. الحفـلات التـي كانت تقـام في بيوت العبادة، كان الغرض منها المناداة باستقلال العراق وطرد الاستعمار.

كانت هناك غرفـة في جامع الحيدرخانة لأحد، هي للسيد احمد ابو محمود، لأنه كان خطيباً في الجامع. اما انا فلم اذهب الى جامع الحيدرخانة ولم ادخل الغرفة ولم اجتمع بأحد هناك. اما هـذه التقارير التي ترونهـا فلا تعتمدوا عليهـا.. هذه تقارير من جواسيس لا يعرفـون شيئاً من الحياة اكثر من ان يقدموا تقريراً حتى يأخذوا اجرة.

كان يجري حديث حول الافكار التقدمية دون شك. خاصة حسين الرحال وسليم فتاح. سليم كان يناقش بقوة أفكار ماركس.. لم يكن ضدهـا ولكنـه كان يناقشهـا.. حسين يـرد عليه، ويحتـد في كلامه اخيراً.. كانـت مقهى النقيب مركزاً لهؤلاء الشباب، حيث يدور جـدل و.. كنا بصورة عامة نعرف ان روسيا مزقتها الحرب، ودخل فيها الحلفاء وصارت فيها ثورة يسمونها ثورة أكتوبر وزعيمها اسمه لينـين، الذي استطاع ان يخلص البلاد.. إلا اننا لم نعرف مبادئها ومصادرها.

الجواهري يتذكر: انا والملك فيصل الاول

كلمـة الملـك فيصـل الأول مـا زالت تـرن في أذني حتى الآن. فيـوم تم تعيينـي (١٩٢٧)في البلاط الملكي قال لي: «ابنـي محمد، هذه الوظيفة هـي جسر تعبر عليه إلى أعلى المراكز». حتى (الحمار) يفهم معنى ذلك.

قـرأت منـذ أيـام، في إحـدى مفكراتي القديمـة، هذه العبـارات التـي خاطبنـي بها الملك فيصل الأول: «أنت، غدا، ستكون شاعر العـراق». وللحقيقة والتاريخ لقد تحمل مني الملك فيصل ما لم يتحمله أحد غيره.

مشاكل كثيـرة عانى منها الملك بسبب أشعاري. ومع ذلـك كان يتحملني. فهناك قصائد لي أقامت الدنيا ولم تقعدهـا، أو لاهـا كانـت يوم نظمي قصيـدة أنتقد فيها العلمـاء، علمـا بأن عائلتي تنتمي إلى هـذه الفئة. فقد انتقـدت فيهم الأنانية والبورجوازية التي تتحكم بهم وبالحاشيـة السيئة التي تحيطهـم، متناسين الفقراء المساكين الذين يقضون جوعًا.

ورغـم أنني كنت في مركز حساس ويجب أن أفكر في كل ما أكتبه لئلا أتخطى حدودي، فقد ضربت بكل هذه المقاييس عرض الحائط، ونظمت مـا نظمت. وبدأت الاحتجاجـات تصل إلى الملك فيصل الأول: «هذا الذي ينتقد العلماء، يعمل في حماك».

وللحقيقـة والتاريـخ. كنـت متوقعا ذلـك. وفي اليوم الثـاني نـادانـي الملك قائـلا: «مـا هـذه القصيـدة التي نشرتها قبل أيام؟ هـل فكرت بإجراجي قبل نشرها؟». فأجبتـه: «العفـو سيدي.. لا بـد أنني أحرجتـك. قال: «أتعلـم أن مئـات البرقيـات والرسائـل وصلتنـي احتجاجا عليك؟» فقلت له: نعم. كنت متوقعا ذلك. لكن، هكـذا كان يجب أن أقـول. وللحقيقـة، لا أريـد إحراجك أكثر. قال: «ما معنى ذلك؟». قلت: معنى ذلك..

وفهـم الملك قصـدي، فأجابني: «لا يا بنـي.. ليس إلى هذا الحد. عد إلى عملك».

وكانـت هنـاك قصائد أخـرى سببت لـه الإحراج. مثلا قصائـدي الغزليـة التي لم يسبق لهـا سابق في الأدب المكشوف. وهـذا شيء غير مقبـول، ليس في العراق وحـده بـل في الوطـن العربي كلـه. بعضهـا لا ينشر اليوم، فكيف قبل نصف قرن تنظم وتنشر؟ تنشر أيام كانت العادات والتقاليد العشائرية سائدة.

يومهـا أثيرت الضجـة حول قصيـدة «جربيني» التي نشرت في جريدة «العراق» (١٩٢٧).

لم أكـن آنذاك مغفلا، أو متناسيـا مركزي في الديوان الملكـي. بل كنت متأكدا مما ستجره علي تلك القصيدة من مصائب. لكن الذي شجعني على نشرها هو رئيس الديـوان الملكي رستم حيدر. إذ حضـر في أحد الأيام وسألني عن جديدي في النظم فقلت. لا شيء. فأجاب: «لا أعتقد ذلك». عندها، قلت له: رستم بك عندي جديد. لكني أتهيب مقامك. فكان رده: «لا مقامات في الشعر.. اقـرأ». وقـرأت له نحو خمسـة أبيات مـن «جربيني» فأعجـب برقتها وبلاغتها. ونشرت القصيدة، وفي ذهنـي أنها ستثير ضجة. حتـى الجرائد، كان بعضها مؤيـدا وبعضهـا الآخـر معارضـا. ووصلـت أصداء الحكاية إلى الديوان الملكي.

ومثلـت في حضرة الملك فيصـل الأول وأنا متأكد مما يريده مني. قال: «مرحبا.. أنشرت قصيدة جديدة في الصحـف». ولحسن الحظ أن «جربيني» نشرت باسم مستعـار هو «ابن سهل» إذ كنت يومها أنشر تحت هذا الاسم واسم آخر هو «طرفة».

وكان جوابـي على الملك التـالي: سيدي، لـو سألني إنسـان آخـر لقلت لا. فالقصيـدة منشورة باسـم مستعار. أما أنت، فلا أستطيع إلا أن أصدقك الحقيقة. كانـت القصيدة أمامه. نظر إليهـا ثم التفت إلي وقال: «إنهـا رائعة. لكن أتعلـم لماذا ناديتك؟ أخـي الملك علي اتصل بـي هاتفيا وقال: أتعلم مـاذا فعل (ابنك محمد اليـوم؟) فـكل مـا أطلبه منـك الآن، هـو الذهـاب إليه والاعتذار منه».

وفي المساء اتجهت نحو قصـر الملك علي، فاستقبلني هو مـع مفتي بغـداد يوسف العبد. تصـوري موقفي وقصيـدة «جربينـي» بـين الملـك علي المتديـن ورجل الدين مفتي بغداد.

التفـت إلي الملـك علي وقال: «الحمد للـه أننا رأيناك». وكان ردي أنني أقـدر ظروفـه لـذا لا أحـب إزعاجه. قـال: «ومـا الـذي أتـى بـك الآن؟». قلت: جئـت طالبًا الاعتـذار منـك رغـم أنني بريء يـا سيـدي.. وكل ما كتبتـه لا يتعدى الكلام.. كلام شعراء، لا أكثر ولا أقل. وأنـا ينطبق علي المثـل الشائع: «عفـة النفس وفسق الألسـن». عندها قال لي: «الحقيقـة أنني لست راضيا عنـك. أنسيت أنك ابن الشيـخ صاحب الجواهر؟ ابن المرجع الأعلـى في الدين ينظم أمثال هذه القصائد؟».

ودار حـوار بيني وبينه قـال في نهايته: «عذرتك على ألا تعـود إلى ذلـك ثانيـة». فقلت سمعًـا وطاعة. لكن مـا إن تخطيت العتبـة حتى قلت في سـري. سأعود وأعـود وأعـود إلى ذلـك. وبالفعل كتبت عـدة قصائد من المستوى نفسه. مثل «انيتا» و«أفروديت» واكتمل النصـاب عندمـا نظمت «النزغـة!.. أو ليلـة من ليالي الشباب» ومعناها الخروج عن المألوف.

هـل تصدقـين أن هـذه القصائـد نشرت منـذ نصف قرن؟ علما بـأن بعضها لا ينشر حتى في أواخر القرن العشرين.

بعـد كل هـذه القصائـد، حضـرت نفسـي للرحيل في أي لحظـة. والملـك لم يسألنـي على الإطـلاق عن هذه القصائـد، رغـم أنـني تخطيت كل البروتوكـولات. وبكل براءة وطفولة، تقدمت بطلب ترخيص جريدة من وزارة الداخليـة، دون استئذان الملك فيصل الأول متناسيا أنني أعمل في الديوان الملكي.

إصدار صحيفة

بعد فترة، حضر وزيـر الداخليـة إلى الديوان الملكي لمقابلـة الملك. وما إن اقتـرب مني حتـى قال لي: «كيف تطلـب ترخيـص جريـدة وأنـت مـا زلت موظفا في الديـوان الملكي؟ ألا تعرف أن امتياز صحيفة لا يعطى إلا لشخـص مستقل ولا يعمـل في أي دائرة رسمية؟» عندها قررت الاستقالة.

ودخلـت علـى الملـك أستأذنه بذلـك. وقـال لي بلهجة بدوية صرفة: «صديقك ما يقولك بهذا» أي أن صديقك الصـدوق لا ينصحـك بذلـك. ثم تابـع حديثـة قائلا: «ابني محمـد، أتـترك الديـوان إلى الصحافة؟ نوري السعيد نصحك بذلك؟». قلت: لا سيدي.

وكان الملـك قـد أدرك أن هـذا الواقـف أمامـه، محمـد مهـدي الجواهـري، لا يمكن بقاؤه في هـذا المكان مع كل مـا يملك مـن إمكانيات أدبيـة وشعرية. وعرف أن مستقبلي يجب أن يبنى خارج التشريفات.

ثـم تابـع الملك حـواره معـي فقـال: «هنـاك أول بعثة عراقية سترسل قريبا إلى باريس. فلماذا لا تكون أنت في عدادهـا. ومعلوم لديـك أن باريس هي عالم الأدب والفـن. وأنت شاعر لـك مستقبـل. وستتقاضى راتبا أثنـاء سفـرك في البعثة. كما أن راتبـك هنا لن ينقطع وسيبقـى للعائلـة. اسمـع نصيحتـي. ولـدى عودتك ستجد أن الصحافة ما زالت موجودة في انتظارك».

ومـن باب الخجـل قلت لـه أن يمهلني فـترة للتفكير. لكن في اليوم الثاني قدمت استقالتي لرئيس الديوان الملكـي صفوت باشا العوى. وبقيـت استقالتي معلقة مدة طويلة قبل أن تقبل.

اليـوم، عرفت فداحـة غلطتي. أنـا شاعـر «جربيني» و«النزغـة» و«أفروديـت» أرفض الذهـاب إلى باريس رغـم أن مـكاني الطبيعـي كان يجب أن يكـون هناك. وحتـى الآن، أحسد كل من يتكلم الفرنسية، هذه اللغة الناعمة الغنية في عالم الأدب والشعر، وعندي هوس فيهـا. وقد قرأت كتبًا فرنسية كثـيرة، ولكن للأسف لا أستطيع التحدث بها.

خلاصـة الموضـوع، أنه بعـد الاستقالـة حصلت على ترخيـص الجريـدة وكان اسمهـا «الفـرات» في نفس الأسبوع الذي ولد فيه ابني البكر فرات. وتاريخ أول عدد كان الثامن من مايو (أيار) ١٩٣٠.

مجلة المجلة ١٩٨٢ (لقاء هدى المر مع الشاعر الكبير)

هل تذكرون الفنان جاسم الخياط ؟

شخصيـة فنيـة كرديـة مميـزة ومطـرب عراقي ظهر في اوائـل الستينيات الى نهايتـه تقريبا في الاذاعة والتلفزيـون مطرب الاجيـال. فتاريـخ الغناء طويل واصوله فهـي كلمة مشتركة بين شعـوب العالم ولها اشكالات خاصة ومضامين وظاهرة من الظواهر التي تختلف باختلاف المجتمعـات ، فهناك مفكرين وكتاب ونقـاد لتفسـير كلمـة الغنـاء ان كان قديمـا اوحديثا من المقامـات الى البستـات الى الحـداء فهوميروس الاغريقـي اطلق كلمـه الشاعر على المغنـي اي الصلة مـا بـين الاثنـين فاختـلاط العـرب بالـروم و الفرس اقتبسـوا منهم العـزف والانغام .وقيـل ان من ادخل الغناء الايـراني الى العربية سعيد بن مسجح ويقال ان يزيد بن معاوية اول الخلفاء من اباح الغناء وهذا كلام تاريخي بتشجيع من معظم الخلفاء الامويون و العباسيين . ومن مشاهير المغنين الموصللي وزرياب ،فالاسـلام حـرم ممارسـة الغنـاء في حينهـا هنـاك الالحـان المشجعـة التي تستعمل وقـت الحروب عند القتال.

وهـذه تعتـبر سيكولوجيـة الحـرب واستعملهـا المصريون والعـراق في الحربين الاخيرتين. فالغناء مركـب مـن الالحـان واللحـن مركـب مـن النغمـات والنغمـات مـن النقـرات الـخ الغنـاء نوعـان هواية وحرفه فالحديث طويل.

ولد المرحوم جاسم ابن محمد علي ابن حسين الفيلي في محلـه كهـوه شكر قـرب التسابيل وهـذه المنطقه مكتضـة بالسـكان من عـرب و الكرد سنـة١٩٤٤ من ابوين فيليين من عشائركاكائية والملكشاي .

معرفتـي بالمرحـوم منـذ الستينييـا ت في محله باب الشيـخ قـرب مدرسـه الفيليـة الابتدائيـة وكان لي محـل الخـط العربـي مقابل جامـع ملوكـي وعمري انـذاك ثمانية عشر عاما وكنت طالـب متوسطة ومن هـواة الغنـاء العربـي والموسيقـى والخـط العربي ولازلـت امارسه مـع المامي في الخطـوط لانكليزية. والتصاميـم التجارية ولازلت ادرس بعض الاحيان قواعـد الخطـوط بانواعـه مـع الرسـم في مدارس عربية وانكليزية ، والمرحوم جاسم يتردد يوميا علي بعد انهاء عمله كخيـاط قرب سينما الخيام في شارع الرشيداما اخيه الاصغر هاشم تعلم الخط مني وفعلا اتقـن هذه المهنـه وظل معي فتره وانـا تركت العراق عام ١٩٧١ .

المرحـوم جاسـم كان مـن رجـال الحركـه الوطنيـه واصيب في ساقه برصاص الامن العراقي في احدى المظاهـرات ايام المرحوم عبد الكريم قاسم قرب مركز باب الشيخ واجريت له عمليه بالنجاح

كان لـه صـوت رخيم في القـرارات والجـواب وهي فطـرة لم يدرس في مدارس نغمية كان ذكيـا يجيد اللحـن والاداء والغنـاء سريـع التعلـم وبعدها تعلم الـه العود في فـترة قصيرة على يد المطـرب المرحوم سعدي البياتي رحمه الله .

قـدم المرحـوم اول وصلـه غنائيـه في برنامـج ركـن الهـواة والتـي كان مقدمها المرحوم كمـال عاكف هذا البرنامـج تخـرج منـه مطربـون كبـار: فـؤاد سـالم

حسـين نعمه حسـين السعدي فاضل عـواد والمطرب المعـروف كاظم الساهر وبعد اكمـال البرنامج تعرف علـى المرحـوم المطـرب احمـد الخليل ولحـن له اول

اغنيـة غنـاه وهـي اغنيـه (اربـع حروف مـن عمري اكتبـت.... وبهمتي بيها محبوبي صرت) واصبحت هذه الاغنية على لسان كل العراقيين وفي ركن طلبات

المستمعين الاغنية تكـررت يوميا واغاني اخرى لقب بالخياط اولا لمهنته نظـرا للعنصرية الكائنه حواليه والثانيـة لغطاء على لقـب الفيلي تـرك الاذاعة قسرا مـن مضايقـات المسعور لسـان صـدام حسين محمد سعيـد الصحـاف مديـر الاذاعة والتلفزيـون . هاجر الى القاهـرة عاصمه الفن واشتغل في الملاهي الليلية طمحـا للوصـول مثلما قـام به كاظـم الساهـر الا ان وكلاء النظـام السابق لاحقـوه اينما يذهب وتعرض مرات عديدة للضرب والاهانة مما اضطرلتغير مكانه والذهـاب الى كنـدا . وفي مونتريـال زرتـه اكثر من مرتـين وكان يعـاني مـن الغربـة والوحدانية الى ان تركهـا والمجئ الى امريكا بدايـة الثمانييات واستقر في مدينه شيكاغو وتوفى فيهـا اثناء عمليه جراحيه في الكبد.

سفـر اهلـه الى ايـران قسـرا بحجـة التبعيـة والان مقيمـون في ايلام غرب وله اخوه منهم قاسم وهاشم الموجـود في المكسيـك وهوعـازف ماهـر مـع فرقـه مكسيكيـه . ولـه اخ شهيـد واسمه باسـم لانعرف اي شـئ عنـه وكان جنديـا مكلفا ايـام الحـرب العراقية الايرانيـة . وللشهيد اخـوات قسم في ايران والاخت الكبيره في بغداد توفيت قبل عام الله يرحمها.

عن صفحة (تاريخ الشعب الكوردي واخبار الكرد)

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (6048) السنة الثالثة والعشرون - الاثنين (15) كانون الأول 2025

www.almadasupplements.com

رئيس التحريـر التنفيذي: علي حسـين

سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون